الذّاكرة المتخمة والهويّة المأزومة: قراءة في تأويليّة الهويّة السّردية من خلال رواية" زنقة الطليان" لبومدين بلكبير

الباحثة عائشة بن خليفة، جامعة محمد لمين دباغين – سطيف - الجزائر
الباحثة خديجة زايدي، جامعة محمد لمين دباغين – سطيف - الجزائر

1- مقدّمة:

اللّغة بيت الوجود الّذي يسكنه الكائن – على حدّ تعبير مارتن هايدغر Martin Heidegger (1889، 1976) – هذا البيت الفسيح الرّحيب الذي فيه وبه تتشكّل هويّة الذّات عبر مسارات تطوّريّة، ينمّيها فعلان متلازمان لا انفصال لأحدهما عن الآخر. الأوّل منهما يقوم على تلقّي واستقبال مختلف مظاهر وعناصر الوجود ومكنوناته، لتنصهر في بوتقة كيانه، ويمثّل الثاني تجاوب الذّات مع ما تستقبله، عبر إنتاج تحليلاتها وتأويلاتها وفق رؤيتها التي شكّلتها الخبرات والتجارب المتراكمة. فمن ذلك التناغم والتّواصل بين الاستقبال والإنتاج/ السمع والكلام/ القراءة والكتابة ترتسم معالم هوية الذّات. لكن هل الذّات هويّة عينيّة خالصة؟ وعلى اعتبار أنّ الذات ليست كيانا مكتفيا بذاته في الوجود، كيف تتحدّد علاقة الذّات بالآخر؟

2- الهويّة فخّ السّؤال ومأزق الجواب:

الهويّة؟ هذا المصطلح الإشكاليّ الذي حظي باحتفاء تسامى معمارا شاهقا، ونُسجت حوله عوالمٌ فاضت دلالةً، هو توصيف يمكن أن يفسّر شيئا من ذلك الكمّ الهائل من وجهات النّظر الّتي احتضنتها تلك المحاورات والسّجالات التي دارت حول طبيعة الهويّة، ولمّا تزل مجالا رحبا لمقدمات بعيدة الأفق على عتبات إشكالية « تتأرجح بين النّقد والمساءلة عند من تغلب عليه إرادة المعرفة والرّؤية الهادئة، وبين الدّفاع والمصادقة عند من تسيطر عليه الدّوافع النّضاليّة والنّوازع الرّسوليّة.»[1] الّتي تتباين حسب التوجهات المعرفية المختلفة.

هذا الاختلاف في وجهات النّظر، ضخّم الحمولة المعرفيّة للمصطلح، فأضحى ذا طبيعة هجينة، استدمج التّحولات المفهومية المتراصّة في كثافة غامضة ومبهرة، تثخن مضمار صيرورة التغيرات المثارة حوله، وتستبطن دواخلها الأسئلة ذاتها بالعودة إلى منابع

[1]- محمّد شوقي الزين، الذّات والآخر تأمّلات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، منشورات ضفاف بيروت ومنشورات الاختلاف الجزائر ودار الأمان الرّباط، ط1، 2012، ص71.

التصورات وانتقالها، هذا التضخيم الذي عرفه مفهوم الهويّة « هو أمر يعود إلى تناثر هذا المفهوم على ضفاف تخصّصات عدّة داخل حقل العلوم الإنسانيّة من الأنثروبولوجيا إلى السوسيولوجيا، ومن السيكولوجيا إلى علوم السياسة، الشيء الذي يجعل من كل محاولة لحصره ضربا من المجازفة الفكريّة المفتوحة على الاحتمالات كافة.»[2] فتزيد الهوّة اتساعا، فتخرجها من ذاتها لتبرز في خضم اختلافات تُستكشف تباعا لمحاولات التوظيف الأيديولوجي الذي يتمثّل نقل إشكالية الهوية أو محاولة تأصيل الاختلاف المحتجب في الأفكار.

إنّه سؤال يثير فضول الجواب، بيد أنّه مفخّخ – على حدّ تعبير علي حرب*- يكتنف في طيّاته صراعا شرسا ضاريا؛ يتجاذبه طرفان مختلفان حدّ التناقض ومؤتلفان حدّ التماهي؛ فمثلما تعبّر الهويّة عن الأنا بكلّ عناصرها الطبيعيّة الفيزيولوجيّة واللغويّة والإثنيّة والثقافية، تتضمّن في ذاتها الآخر؛ فهي « ليست مجرّد اكتمال داخليّ يكفي نفسه بنفسه أو حضور محض يفلت من أنفاق الإنسان وعثرات النسيان بقدر ما تحيل

---

[2]- ثائر رحيم كاظم، العولمة والهوية والمواطنة بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات، مجلّة القادسية في الآداب والعلوم التربويّة، المجلد 8، العدد 1، 2009، ص263.

* يعبّر علي حرب عن ارتياب عميق تجاه مصطلح الهويّة؛ بفعل الحمولة الإديولوجيّة الثقيلة التي تتستّر خلف بنيته، فتجعل القائل به أو المتحدّث عنه يقع أسير تحديدات نمطية مسبقة توجّهه رغم إرادته. يقول:« صرت أعتبر أنّ السؤال عن الهويّة هو سؤال مفخّخ يرمي إلى استدراجي لكي أقع في الشّرك، إذ هو يريد لي أن أكون رهنا لهويّتي سجينا لمعتقدات وتقاليد وثوابت سلوكيّة أو فكريّة لست أنا من اختارها. إنّه يكرّس التقسيمات المعهودة بين البشر إلى أقوام وأعراق وطوائف وملل أو إلى مناطق وعوالم.» علي حرب، الممنوع والممتنع نقد الذّات المفكّرة، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط 4، 2005، ص 105.

وهو ذات القلق والارتياب والشّك الذي عبّر عنه الباحث إسماعيل مهنانة، حينما أكّد على الطّبيعة السياسيّة لهذا المصطلح، وكيف يتمّ التحكّم به وإضرامه وتأجيجه أو إخماده كلّما دعت الحاجة إلى ذلك؛ يقول:« لا يزال الكثير يعتقد أنّ الهويّة معطى أنثروبولوجيّ خام، وخالٍ من كلّ عنصر سياسيّ، بل أنّ السياسة هي من لايتوجّب عليها التّعاطي مع هذا "الواقع الهوويّ" وتطويع استراتيجياتها لتكريسه، والمحافظة على توازناته، وهذا غير صحيح؛ لأنّ كلّ هويّة جاءت نتيجة "فعل سياسيّ أصليّ" [...] والملاحظ سوسيولوجيّا أنّ مطالب الهويّة ترتفع أكثر في أوقات الأزمات والضّعف والوهن، حيت الذّات تكون في أشدّ الحاجة للاعتراف والتّعضيد، وهنا تمنح الفرصة للسياسة للمتاجرة بالهويّة.» إسماعيل مهنانة، العرب ومسألة الاختلاف مأزق الهويّة والأصل والنسيان، منشورات ضفاف بيروت ودار الأمان الرباط ومنشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2014، ص71.

إلى أرضيّة غير مكتشفة في قارّة الهويّة وهي أرضيّة الغيريّة في الذّاتيّة عينها على صعيد العلاقة والتّمثّل وأرضيّة اللاّمعقول والأسطورة والتّرميز على مستوى البنية أو الجوهر.»[3] فالارتباط بين الأنا والآخر في الهوية يتجاوز حدود التجلّي الظاهري ليبلغ العمق/ الجوهر، على مستوى الممارسة أو الخطاب، وبالتالي يبدو الحديث عن هويّة وفق خطاطة أو نموذج معياري محدّد ضربا من الوهم الّذي يعمّق لحظات التبعثر، بيد أنّه لا مناص منها في ظلّ أبعاد متغيرة مع الآخر إذ «لا هويّة ذات بعد واحد أو وجه واحد، بل هويّة مركّبة لها غير وجه وتنفتح على أكثر من عالم.»[4]

الهويّة إذن، ليست الأنا المفردة المتقوقعة والمنغلقة على ذاتها، ولا هبة معطاة تؤسس معرفتها من تجارب داخل تركيبة الذات فقط، بل هي أنا تحاول أن توجد توازنا بين مقتضيات الذّات وضرورات الآخر، ضمن نطاق عالم واسع شاسع مترامي الأطراف، ومتعدّد المشارب والثقافات، ومن هذا التّقارب والتّداخل ينعكس صداه في إطار نسيج مشدود النّطاق تحت عباءة العولمة الافتراضيّة.

3- الهويّة في فضاء السّرد العربي:

بقدر ما شغل سؤال الهوية المفكّرين والفلاسفة وقضّ مضجعهم، ألقى هذا السّؤالُ بضلاله على الأدب عموما والرّواية بشكل خاص؛ التي اتّسمت منذ ظهورها بكونها« أكثر نظم التّمثيل قدرة في العالم الحديث من حيث إمكاناتها في إعادة تشكيل المرجعيّات الواقعيّة والثقافيّة وإدراجها في السّياقات النّصيّة، ومن حيث إمكاناتها في خلق عوالم متخيّلة توهم المتلقّي بأنّها نظيرة العوالم الحقيقّة، ولكنّها تقوم دائما بتمزيقها وإعادة تركيبها بما يوافق حاجاتها الفنيّة، دون أن تتخلّى، في الوقت نفسه، عن وظيفتها التّمثيليّة."[5] كأساس تنبني عليه. هذه الطّاقات المختزلة في النصّ الرّوائيّ، جعلت منه حاضنا لمختلف المشاريع الفكرية والإديولوجية والسياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة ...

ومن على أرضيّة هذا الفضاء الخصب الرّحيب، راح الروائيّون يعرضون قضايا الهويّة، التي هي من صميم الواقع الذي يرمون محاكاته، ويتمثّلون إشكالاتها التي تستعرض تمزّقات الإنسان بين وجوده في محيطه الضيّق، وبين انتمائه إلى عالم ديدنه

[3]- محمّد شوقي الزين، الذّات والآخر تأمّلات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، ص 72.

[4]- علي حرب، الممنوع والممتنع نقد الذّات المفكّرة، ص 106.

[5]- عبد الله إبراهيم، موسوعة السّرد العربي، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر بيروت ودار الفارس للنشر والتوزيع عمّان، 2008، ج1، ص386.

الاختلاف والتنوّع، بين حضوره المادي وكينونته الافتراضيّة. وفي هذا السياق استعرضت بعض الدّراسات المراحل التي مرّت بها الرّواية العربيّة في تمثّلها لإشكالية الهوية على النحو التالي:

« مرحلة البحث عن الهويّة: حيث تناول العمل الأدبي فكرة محاولة اكتشاف طبيعة (الـ"نحن") من خلال اكتشاف طبيعة الآخر، ولقد كانت هذه المرحلة في الروايات التي ظهرت قبل عام 1967، ثمّ مرحلة مساءلة الهويّة: وفيها تمّ رصد الأعمال الخاصة باغتراب البطل عن عالم الآخر وعالمه الحضاري والثقافي؛ لعدم قدرته على تحقيق انتمائه لأيّ منهما، فيحدث له اغتراب في النموذجين الحضاريّين الشرقي والغربي، ثمّ مرحلة فقدان الهويّة: وهي تقوم على مفهوم الضياع واستغراق الذّات في تفاصيل الآخر الغربي، بما يفقده قدرته على معرفة ذاته الحقيقية.»[6]

إذن، في مسار مرحليّ متعاقب، تتوالى هذه المراحل الثّلاث لتوطين هويّة ذاتٍ تشكّل وجودها عبر سيرورة من التّجارب وصيرورة من المتغيّرات، وتنمّي مركّبات شخصيّتها ومميّزات كيانها في إطار تفاعل جدليّ ليس مع أناها فحسب، ولا الأخر فقط، بل مع الفضاء الوجوديّ ككلّ، أي إنّ« الذّات تبحث عن هويّتها على مستوى حياة بأكملها.»[7] والحلقة الواصلة بين هويّة الذّات والوجود الحياتيّ إنّما هو السّرد، في صياغة خطابيّة تقيم علاقة تواصليّة ضمن نطاق خطاطة زمنيّة تجمع بين الماضي المرتهن، وآنية الحاضر والمجهول المأمول، ومن ثمّ تتمظهر الهويّة في الخطاب السّردي وتحدّد بؤر وجودها عبر السرد:« باعتباره وسيطا موضوعيّا يوفّر معرفة الذّات عبر تأويلها، إنّه يوفّر وجودا رمزيا تتخيّل به وجودها.»[8] ومن خلال هذا الوسيط تتشكّل الهويّة عبر الأصوات السّردية للذّات في المنعطفات النّسقية والمرجعيّة التخييليّة. وحينما تتضافر مجموعة منها في تركيبة النص يتولّد خطاب حافل بصراع هويّات الشّخصيات، والتي تتجاذب لتكوين معالم السرد، ولتؤسّس لهويّته النّابضة بعوامل الانفعال وحركيّة التّواصل، فيتمثّل السّرد – والحال هذه- النّصَ الموازي للوجود/ الحياة، والمفارق له في الآن ذاته. هذا

---

[6]- ينظر: هاجر مباركي ومحمد سعيدي، إشكالية الهوية في الرواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استلاب، مجلة العلامة، العدد 6، جوان 2018 ، ص 138.

7- بول ريكور ، الذات عينها كآخر، ترجمة: جورج زيناتي، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 252.

[8]- عبد الله بريمي، الزمن و السرد في فلسفة بول ريكور، مجلة الكلمة، العدد81، جانفي 2014، ص4.

التّحديد يقود رأسا إلى التساؤل عن طبيعة الهويّة السردية، وكيف تتخلّق في فضاء الخطاب السّردي؟

4- الهوية السردية : مرحلة اليقين الذّاتويّ

يقتحم السّرد حياة الذّات عبر مطيّة الزمن ثابتا/ متحوّلا، وعبر الوسيط الخطابيّ اللغويّ الذي يشكّل بنية سرديّة يتداخل في تكوينها تأليف مزجيّ بين التّاريخ والمتخيّل، ليعبّر عن نشاط سرديّ لذاتٍ نُسجت فسيفساء هويّتها من مجموع تجاربها الإنسانية المحكيّة، فكانت اللّغة معراج بيانها عن ذاتها وإفصاحها عن دواخلها، قصد إعادة تشكيل رؤية سرديّة تنزاح دلالتها نحو تصوير الحياة ومكنوناتها الدّاخلية/ الخارجيّة، في« نصّ يستهدف قصديّا أفق واقع جديد يمكن أن نسمّيه عالما، ويتخلّل عالم النّص هذا، الفعل الواقعيّ لكي يضفي عليه تصوّرا جديدا، أو إذا صحّ القول لكي يحوّل صورته.»[9] بصياغة جديدة في قالب محكيّ.

من هذا المنظور الزّمانيّ/ التّاريخيّ بين الحياة والسرد، تتوسط الهوية السرديّة أنظمة الحدث والخيال، هذه الهوية التي تتبّع مسار تشكلها في مسحة شاملة الفيلسوف الفرنسي "بول ريكور"* وقد حدّدها في أبسط تعريف بأنها « ذلك النّوع من الهويّة التي

9- بول ريكور، الوجود و الزمان و السرد(فلسفة بول ريكور)، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ، 1999، ص 81

* ارتبط مصطلح **الهويّة السرديّة Identite narrative** بالفيلسوف الفرنسي **بول ريكور Paul Ricœur (1913، 2005)**، الذي ابتدع هذا المصطلح في إطار مناقشاته للتاريخ والسرد في أعماله؛ حيث ظهر هذا المفهوم« لأوّل مرّة في خاتمة كتابه "الزمن والسرد" (1985) في إطار التفكير غي علاقة التاريخ بالمتخيّل، بحثا عن سياق عمليّ يلتقي فيه الصنفان السرديّان. الهويّة هنا ينظر إليها "كمقولة للممارسة"؛ بمعنى أنّ تحديد هويّة الفرد أو المجموعة يتوقّف على الجواب عن سؤال: من فعل ذلك الفعل ومن هو الفاعل؟» عبد الله السيد ولد اباه، التاريخ والحقيقة لدى بول ريكور (الهوية السردية والذاكرة الحية)، مجلة يتفكرون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، العدد 3، 2014، ص 16، 17.

ووفق هذا المعنى يتبدّى مصطلح الهويّة السرديّة بمثابة حلقة الوصل التي تجمع بين الزمن والسّرد، وتحاول أن تخفّف من وطأة الهوّة القائمة بين الزمن الفينومينولوجي والزمن الكرونولوجي؛ ذلك أنّها:« تقدّم حلّا مقبولا، وإن كان ناقصا، لاستعصاء الزمن، إذ إنّها تشكّل جسرا مقاما فوق الهوّة التي تفصل بين الزمن الداخلي والزمن الكوني، وتطبّق على الصعيد الفردي والجماعي.» بول ريكور، الذات عينها كآخر، ص 32، 33.

يكتسبها النّاس من خلال وساطة الوظيفة السرديّة.»[10] هذه الوظيفة التي أثار "ريكور" حولها جملة من التّساؤلات التي تؤسّس لديناميّة سيّالة، ترتبط بتأويل الذّات في علاقتها بالسّرد استنادا إلى ما هو تاريخيّ من جهة، وما هو خيالي من جهة أخرى، وما يعتريها من خواصّ ومتغيّرات، إذ «يؤلف السّرد الخواصّ الدائمة لشخصية ما، هي ما يمكن أن يسميها المرء هويته السرديّة، ببناء نوع من الهويّة الدينامية المتحرّكة الموجودة في الحبكة التي تخلق هويّة الشخصيّة. وجدوى هذا الالتفاف من خلال الحبكة هي كونه يقدّم نموذج التّوافق المتضارب الّذي يمكن فيه بناء الهويّة السردية للشخصية. ولا تتقابل الهويّة السرديّة للشّخصية إلا مع التّوافق المتضارب في القصة.»[11]

وسيستعرض هذا البحث التّداخل المفهوميّ بين الهويّة السّردية Identité narrative والهوية الشّخصية Identité personnelle بما تقتضيه حاجة العمل التطبيقي على رواية "زنقة الطليان لبومدين بلكبير."

وعبر السّياقات المعرفّة للهوية فإن« مهمّة التفكير بالهوية السرديّة هي أن تضع في الميزان السّمات الجامدة التي تدين بها هذه الهويّة إلى رسوّ تاريخ حياة بأكملها في طبع معين.»[12] وهنا تأخذ الهوية صفة الديمومة والاستمرار في التشكّل غير القارّ زمنيّا، بيانا لضروب العلاقة بين الهوية والذات، التي وجدت لها أصداء ممتدة، تلعب في ضجّة على وتيرة الهوية الشخصية، وتتماهى معها لتتموضع ككينونة فاعلة لا يمكن أن تعفي نفسها من التدّخل فيها/ معها، وقد أكّد "بول ريكور" على« وجود تدخّل من الهويّة السّرديّة في التكوين المفهومي للهوية الشخصية.»[13] هذه الأخيرة التي تطلق على الشّخص الّذي ينظر إلى نفسه على أنّه نفسه، رغم تغيراته وتحولاته الزمكانية إلّا أنّه يبقى هو هو، وهنا يجب النّظر للشخص ككيان أو« تعريف ما يمكن أن نعتبره شخصا فردا مستمرا بل هو

استأنف ريكور التفصيل في موضوع الهويّة السرديّة بصورة أعمق في مؤلّفه: **الذّات عينها كأخر Soi – même comme un autre** الصادر عام **1990**، الذي شرح فيه بشكل مسهب ماهيّة الهويّة وأنواعها، ومختلف تجلياتها في عينيّتها وفي آخريّتها؛ « بتجاوز البعد الضيق الخاص بالهوية في مسار تشكّلها الزمنيّ (كما في كتاب الزمان والسرد) لتحويل المقولة إلى مرتكز نظريّته المكتملة في الذاتيّة.» عبد الله السيد ولد اباه، التاريخ والحقيقة لدى بول ريكور (الهوية السردية و الذاكرة الحية)، ص 17.

[10] - بول ريكور، الوجود و الزمان و السرد(فلسفة بول ريكور)، ص 251

[11] - بول ريكور، الوجود و الزمان و السرد(فلسفة بول ريكور)، ص 260

[12] - بول ريكور، الذات عينها كآخر، ص 264، 265.

[13] - المرجع نفسه ، ص258

بالأحرى ربط المفهوم في استخدامه العام مع تقييمنا العالي لأهميّة الذّاكرة [...] وهو شخص يترتّب على الآخرين أن يعاملوه على هذا الأساس، هو في الوقت نفسه شخص بالنسبة لنفسه، يمكن أن يفكر بنفسه بصيغة المتكلم، وهو يألف مشاعره ورغباته وحاجاته وتطلعاته.»[14] في سياق تحكمه صراعات الدّاخل والخارج، الحاضر والماضي، فتحوّل الصّيرورة الحكائية إلى وضعية إدراك الجوهر.

« إن الهويّة المفهومة سرديّا يمكن أن تدعى باتّفاق لغويّ هوية الشخصية [...] وأن هوية الشخصية تبنى باتّصال مع هويّة الحبكة.»[15] وهنا تنطبع الهويّة الشخصية بطابع الحبكة، بعدّها النّموذج التّموضعي الّذي تصاغ الهويّة الشخصية على منواله في« عملية سرديّة لمسار الذّات. وبدون هذا البعد السّرديّ لا سبيل للخروج من مأزق الهويّة الشخصية، التي إمّا أن نفهمها بصفتها ذاتا متماهية مع نفسها في أحوالها المتغيرة، أو باعتبارها وهما جوهريا يطلق على كتلة مختلفة النّوازغ والغرائز.»[16] وهنا تتشكل معضلة أخرى تتمثل في علاقة الهوية بالذّاكرة.

5- فيض الهوية وشذرات الذاكرة :

يشكّل خطاب الهويّة أشعّة كاشفة للتّقاطعات الحاصلة على مستوى الذّات بين فضاء كينونتها مع أرشيف وتراكمات ذاكرتها، فلا ملاذ لها غير الخطاب السردي لتفترش على مضجعه ميراثا من الهشاشة/ الصلابة بعد لحظات التيقظ، وتجترح شواغل صمتها الجاثمة على محضن تجارب الوعي، الذي يعيد حوارية ماهيتها بين اختلاق واقصاء.

وفي علاقة متعدية إلى الآخر، تؤسس الهويّة موقعا في« قلب الصّراع الهادف الى صياغة تعريف نهائيّ للإنسان.»[17] وتضمر ذهولا إشكاليا تحاصره تأويلات عوالم تُسوّغ محايثة الوجود بين شروخ الذات، فتعانق رفض الحياة مترنّحة في انتظار انتماء مؤجل،

---

[14]- ميري ورنوك ، الذاكرة في الفلسفة و الادب، ترجمة: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1 ، 2007، ص 85، 86.

[15]- بول ريكور، الذات عينها كآخر، ص295.

[16] - عبد الله السيد ولد أباه، التاريخ و الحقيقة لدى بول ريكور (الهوية السردية و الذاكرة الحية) ، ص 17.

[17]- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الهوية(جدليات الوعي و التفكك و إعادة البناء)، مركز دراسات الوحدة العربية، الجزائر، ط1، 2017، ص 9.

يرتدّ إلى التّوظيف السّردي، ليعتلي منصّة خطاب الذاكرة المتخم ولتحديد بُعد ماهوي مأزوم.

إنّ « مفهومي الذاكرة والهوية الشخصية متداخلان منطقيا ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.»[18] وهنا تتأكّد صلات الانجذاب التّام والتّرابط الوثيق بين الذّاكرة ونسيج الهوية، في مسار يفتح آفاقا متعدّدة، حاملا لشرائط تجسيد« مسار تشكل الهوية السردية في بعدها السّردي ومسار التأويل المرتبط بالذاكرة.»[19] حيث يتحرّك السّرد في أفق التّوقّع، وترشّح الذّات ذاكرتها بحثا عن هويّتها المطموسة في تجاربها، عبر ترهين الماضي وإحياء الذكريات، فتعيش سردا حيّاً، وتحلّ في ذاكرة حاضرة رغم غيابها عبر التذكّر والاستذكار عفوا أو قسرا، لكن المتواليات الاستفهامية تغيّب الاطمئنان الّذي ترمي الذّات لتحقيقه، ويفيض النسيان في أرجاء أفعالها. فالنّسيان وجه الذّاكرة الآخر، المتواري خلف واجهتها النّاصعة المجلوّة، إنّه ذلك الأنا الضّعيف في جوهره القويّ في تأثيره، الكامن في قلب تلك القوّة والسّطوة التي تحاول الذّاكرة أن تتشبّث بها رغم قلّة حيلتها في مواجهته؛« إنّ النّسيان هو التّحدّي بامتياز المعارض لطموح وثوق الذّاكرة. والحال أنّ الوثوق بالذّكرى معلّقة باللغز المكوّن لإشكاليّة الذّاكرة برمّتها، أي لديالكتيك الحضور والغياب في قلب تمثيل الماضي الذي يضاف إليه شعور المسافة الخاصّ بالذّكرى عكس الغياب المحض للصورة.»[20] هو صراع محتدم بين الذّاكرة إذْ تتعلّق جاهدة بحبائل البقاء، في مواجهة النسيان الذي يمكن أن يشكّل خطرا يهدّد ما تحفظ من آثار تستبقي للذات على هويّتها، مثلما يمكن أن يكون رحمةً تحرّر الذّات/ الذّاكرة من قيود عذاباتها، وفي خضمّ هذا المعترك ترتدّ الذّات لتغذّي ومضة الذاكرة الشاردة، التي تتوارى خلف ضروب التجارب وتقاوم النسيان، فتتيه في تفاصيل التصدّع الذي تحدثه الخيبات. ويأتي السّرد باعتباره الملاذ الآمن الذي يحاول أن يحفظ للذات ذاكرتها، في الآن ذاته الّذي يشكّل متنفّسا لأفراحها وآلامها، وهنا ينفتح النصّ/ الذّات عبر مغريات وإغواء التأويل على قراءة الحدث، باعتباره أهم الدعائم التي تقوم عليها الهوية في السرد.

---

[18]- ميري ورنوك ، الذاكرة في الفلسفة والأدب، ص100.

[19]- عبد الله السيد ولد اباه، التاريخ و الحقيقة لدى بول ريكور (الهوية السردية و الذاكرة الحية) ، ص16.

[20]- بول ريكور، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط1، 2009، ص 604.

من فيض أسئلة الهويّة وإشكالاتها المتشابكة المتأزّمة، ومن متاهات غابة السرد المغربة الممتعة تتأسّس الرؤية القرائيّة لرواية "زنقة الطليان" لبومدين بلكبير*، والتي سيقف البحث من خلالها على تجلي معنى الهوية انطلاقا من عتبة العنوان كفاتحة مرورية تتبع آثار تشكل الهوية بالغوص بين منعطفات الزمان والمكان والشخصيّات، والولوج إلى مكاشفات الذّاكرة المتخمة التي تروم الانعتاق من أوضاعها المتأزّمة التي تخنق أنفاسها وتقيّدها بأغلال الماضي المؤلم، هي إذن محطات للتحليل سيحاول هذا المقال قراءتها انطلاقا من المتن السّرديّ للرّواية.

6-حوار الهوية والذاكرة في فضاء السرد:

6. 1- زنقة الطليان: بوح العنوان:

العنوان فاتحة المعنى، وهو منتهى الكتابة، ومنطلق القراءة، لهذا يعدّ نصّا مصغّراً« له امتدادات في منظومة ثقافيّة موسّعة تقابله بأيّ شكل من أشكال التّقابل، ومن ثمّة فإنّ فهمه وتأويله يتمّان من هذه المنطلقات، عبر مقابلة مقوّماته (الاختزال، التّكثيف، الإيحاء، التّرميز ...) مع مقوّمات سياقه، وإدراجها معا في فعل قرائيّ تقابليّ

* **بومدين بلكبير:** أستاذ جامعي، وباحث، وروائي من الجزائر. متحصّل على شهادة الدكتوراه في إدارة الأعمال والإستراتيجية عام 2013. عضو الجمعية العمومية لمؤسسة المورد الثقافي بيروت، صدر له: **النص الأخير قبل الصمت** منشورات فضاءات الاردن 2014. كما صدر له عن منشورات ضفاف، لبنان و الاختلاف، الجزائر أعمال روائية بعنوان: **خرافة الرجل القوي** 2016، و رواية **زوج بغال** 2018، ثم رواية **زنقة الطليان** 2021. ضف إليها العديد من الكتب المنشورة، أهمها : **الثقافة التنظيمية في منظمات الاعمال** 2013، **العرب وأسئلة النهوض** 2013، **عصر اقتصاد المعرفة** 2012، **إدارة التغيير و الاداء المتميز في المنظمات العربية** 2009، **قضايا معاصرة في اشكالية تقدم المجتمع العربي** 2015.

نشر مجموعة مهمة من الاستطلاعات حول مدن عربية وعالمية وجزائرية في مجلة العربي الكويتية، ومجلة رؤى الثقافية، كما شارك في تحكيم العديد من البرامج والمشاريع الثقافية محليا وعربيا، كبرنامج **وجهات** ببيروت عام 2017، لدعم سفر وتنقل المبدعين والفنانين، وبرنامج **المكوّن الاستثنائي** لدعم المثقفين والتقنيين في الفنون المتضررين من جائحة كوفيد19 ببيروت عام 2020. ترأس لجنة تقييم مشاريع دعم القراءة والمطالعة (ضمن ملتقى فعاليات القراءة) بوزارة الثقافة والفنون 2021. استفاد البحث من سيرة الكاتب الذّاتيّة عبر تواصل مباشر مع الكاتب.

وتساندي.»[21] لبناء التّعاضد الإحاليّ وشبكة التّعالقات التي تربط بين نصّ العنوان ونص الرّواية. ومن على شرفة هذه الفكرة تبحر رحلة القراءة في رواية "زنقة الطّليان".

فمن وحي حيّ شعبيّ في مدينة عنّابة تتّخذ رواية "زنقة الطليان" اسمها/ تعريفها، ليكون مسرح الأحداث، على ركحه تعيش الشخصيات، تحكي حياتها، تعبّر عن جوانب من مكنوناتها. حيّ عتيق، بناياته قديمة آيلة للهدم، لكنه مع ذلك يأبى الامتثال ويواصل المقاومة، يصارع الزمن والمصالح للبقاء. مكان يحتضن بين جنباته الكثير الكثير من الذّكريات، تشهد عليها جدرانه المتصدّعة، وتضمّها بقوّة أزقّته الضّيقة المتكسّرة. فيا ترى كمّن أقدامٍ وطئت هذا المكان؟ وكمّن حكاية يخفيها وأسرارٍ يضمرها؟

ومع أنّ المكان، يمثّل عنصرا مهمّا من عناصر البناء الرّوائي، إلّا أنّه في هذه الرّواية ليس كأيّ مكان؛ فبعض« الأمكنة تتجاوز في بعض المواقف وظيفتها الأساسيّة المتمثّلة في كونها إطارا أو ديكورا، لتصبح عنصرا مهمّا من عناصر تطوّر الحدث على هذا المحور أو ذاك من محاور الرّواية.»[22] بل إنّه يغدو في قلب الحدث، منه مبتدأ الأحداث، وفيه تتطوّر، منه تستمدّ الشّخوص عناصر قوّتها، وتعالج ندوب الماضي فيها، ولكن فيه أيضا تغرق في هشاشتها، وتعانق خيباتها وجراحها وتتجرّع آلامها.

زنقة الطليان" عنوان يصبّ كواقع سردي متحقّق في شحن دلالي، ضارب في عمق "زنقة الحياة"، فبلونها الازرق الّذي يصبغ المكان بصحبة مساحات من الأبيض تكمن مفارقة الدّلالة، ففي الوقت الذي ترتبط فيه "الزنقة" بدلالة الضيق يأخذنا اللون الأزرق نحو مدى من الاتساع اللامتناهي سعة السّماء والبحر، كما أنّ الزنقة و الزّرقة تثيران فكرة "الأبدية" بامتداد متكرر عبر الفضاء الزّمكاني لتلامس انبعاث علّة السّرد في لحظاته المجهولة. ومنه تنفتح نوافذ القراءة مشرعةً على التّجارب المثقلة بشراسة الحدث السّردي، فتنبثق "زنقة الطليان" لتحكي وتحاكي كيانات موجودة تلتصق بجسد

[21]- ينظر: محمّد بازي، العنوان في الثّقافة العربيّة التشكيل ومسالك التّأويل، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، دار الأمان الرّباط، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2012، ص 24.

[22]- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقيّة، دار الآفاق، الجزائر، ط1، 1999، ص 207.

النص/ الوجود، زنقة تفصح من دلالتها اللّغوية* عن المكان المرآوي لحلول فردانيّة الإنسان فيها، بتدفّق منتظم تلوي مداخله السّكنيّةُ الضيقةُ مسار السّرد فتضيق بها حياة بأكملها. لكنّها على ضيقها ذاك تحتمل على نوع من الألفة والدّفء يعبق بها المكان، بكلّ ما يبعثه تراصّ البيوت وتقاربها من حميميّة. لتكون "زنقة الطليان" فضاء يختزل بين جنباته آثار عبث الزّمن، وسرّ القناعة رغم الفاقة، ونتفات ضوء الأمل والطّموح رغم تراجيديا الواقع.

ثمّ إنّها زنقة وليست مدينة، إذن هي جزئية من جزيئات الواقع العميق عمق دلالة "الزّنقة"، والتي تبوح في صمت بتفاصيل حياتية متباينة لساكنيها، وتختصر تجذرها في أصالة وجودها الرّاسخ في فضاء المتن السردي رغم عاديات الزّمن والأفراد. وهو ما تقوله الرّواية على لسان رجينا بورتر:« عليك أن تعرفي شيئا حول هذا الحي: إنّه بشع، لكنّ العيش فيه جميل وممتع.»[23] وتؤكّده من خلال وصف واحد مباني هذا الحيّ؛ فـ« معمار البناية عريق، الأبواب الخشبيّة تحفة تراثيّة، والأقواس والتّصاميم التي تعود للعهد العثمانيّ ومع كلّ ذلك فهي متهالكة ويعشّش في شقوقها البقّ والفئران والنّاموس والحشرات.»[24] فما بين عراقة المكان وتغييبه في مجاهيل النسيان، وما بين جماله الآسر وقبحه الظّاهر، تتضافر المتناقضات لتشكّل جانبا من هويّة المكان، التي يحاول أهلها الدّفاع عنها ضدّ رياح التغيير التي تهدّد باقتلاع الحيّ من جذوره، ومحو معالم هويّته.

ولكن ما قيمة المكان دون أهله؟ سؤال يقودنا رأسا لسبر أغوار بعض ساكنة " زنقة الطليان" ممن تعرض لهم الرّواية، بهدف تحديد معالم الهويّة السّرديّة في هذه الرّواية، وبيان دور الذّاكرة في تشكيل تفاصيل هذه الهويّة.

6. 2- زنقة الطليان: هويّة الأنا في فسحة المكان:

---

*بالعودة إلى المعاجم اللغويّة تشير كلمة الزنقة في معجم لسان العرب لابن منظور إلى:« السكّة الضّيقة [...] والزنقة ميل في جدار، أو سكّة، أو ناحية دارٍ، أو عرقوب وادٍ، يكون فيه التواء كالمدخل.» ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 10، ص 146.

وفي ذات السياق يذكر معجم الوسيط أنّ الزّنقة:« مسلك ضيّق في القرية.» ابراهيم مدكور وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة، ط 4، 2004، ص 403.

[23]- بومدين بلكبير، زنقة الطليان، منشورات الاختلاف الجزائر، ومنشورات ضفاف بيروت، ط1، 2021، ص 7.

[24]- بومدين بلكبير، زنقة الطليان، ص 17.

على وقع تعدّديّة صوتيّة متنوّعة، تنسج رواية " زنقة الطليان" أحداثها، فمن وحي حياة شخوصها وهواجسهم ومعاناتهم، تبني الرّواية عالمها، وتؤثّث فضاءها بسرد تاريخهم، واستحضار ما تعجّ به ذاكرتهم، وهل الرواية غير:« إنسان يتكلّم [...] إنّ الموضوع الرّئيس الذي يخصّص جنس الرّواية، ويخلق أصالته الأسلوبيّة، هو الإنسان الذي يتكلّم وكلامه.»[25]

ومن هذا الكلام ينبعث السرد، ويبدأ في رسم تفاصيل الوجود السّردي، المتعلّق أساسا بوجود الذّوات الفاعلة. ولهذا فإنّ منطلق القراءة هو فهم الذّات؛ الّذي هو« عمليّة تأويل، وتأويل الذّات بدوره يجد في السّرد واسطة بامتياز، مفضّلا إيّاها على بقيّة الإشارات والعلامات والرّموز. والسّرد يقتبس من التّاريخ بقدر ما يقتبس من القصص الخياليّة، جاعلا من تاريخ حياة قصّة خياليّة، أو إذا شئنا قصّة تاريخيّة، شابكا أسلوب العمل التاريخيّ الحقيقيّ للسير بالأسلوب الرّوائي للسير الذاتيّة الخياليّة.»[26]

فما بين السّرد والتاريخ، تتغلغل رواية " زنقة الطليان" في أعماق هذا الحيّ الشعبيّ العتيق، تنساب بين أزقّته، وتلج بيوته، وتلامس شخوصه، فتروي هذه الأخيرة فيها وبها حياتها، تحاور الذّات فيها، تستعيد ذاكرتها، تغور في أعماق الماضي حينا، وتتخبّط في أحوال الحاضر أخرى، لتغزل من هذا الواقع المتشابك حيثيات المتن السرديّ.

6. 3- الهويّة السرديّة لدلال سعيدي:

على لسان دلال سعيدي تنطق الرواية، لتسرد جوانب من تفاصيل حياتها التي عجنتها الأزمات، وفاقمتها المحن، مشكّلة نسيجا نصيّا مكتنزا بالأحداث الهاربة من الزّمن الضّائع، أو الواقعة في الزمن الحاضر. وعلى هذا الأساس، يمكن القول:« إنّ الرواية تبني هويّة الشخصيّة التي نستطيع أن نسمّيها هويّتها السرديّة، وذلك حين تبني هويّة القصّة المحكيّة. إنّ هويّة القصّة هي التي تصنع هويّة الشّخصيّة.»[27] فلغة الحكي معراج الذّات نحو أعماقها الغائرة في غياهب الماضي البعيد، وهي سبيلها لقول حاضرها بكلّ متناقضاته، وتحديد الثّابت والمتغيّر فيها. وهنا يتبدّى في الهويّة السرديّة L'identité narrative جانبان لا انفصال لأحدهما عن الآخر، هما الهويّة العيبيّة L'identité ideme

[25]- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة – باريس، ط1، 1987، ص 101.

[26]- بول ريكور، الذات عينها كأخر، ص251.

[27]- المرجع نفسه، ص 306.

والهويّة الذّاتيّة L'identité ipse؛ على اعتبار أنّ« الطبيعة الحقيقيّة للهويّة السرديّة لا تتكشّف [...] إلّا في ديالكتيك الذاتيّة والعينيّة. وبهذا المعنى، فإنّ هذه الأخيرة تمثّل المساهمة الأكبر للنظريّة السرديّة في تكوين الذّات.»[28]

ويعدّ هذان المصطلحان أساسيّان في فلسفة ريكور التأويليّة؛ حيث« يعود إليهما ريكور باستمرار [...] فنقده لكل الفلسفة التحليليّة الإنجليزيّة الأمريكيّة يعود دوما إلى هذا التمييز، وكأنّه يقول بأنّ مثل هذه الفلسفة القائمة على التحليل المنطقي لجمل اللغة يستند دوما إلى ما هو عينه، إلى هذه العينية التي تحافظ على ذاتها، رغم كل التقلبات، وتبقى هي هي [...] ولكنّ اللغة ليست بنية جامدة فقط، بل يتكلّمها شخص حيّ متطوّر [...] وهو يمتلك ذاتا متميّزة عن هويّته العينية، هي هويته الذّاتيّة التي تعيش في الزمن وتتطوّر معه، ولا تتجمّد في الزّمان."[29] ومن هذا المنطلق، تتجلّى شخصيّة دلال سعيدي عبر زوايا النّظر الآتية:

6 .3. 1- الذّات في مرآة نفسها:

دلال سعيدي، هذه الذّات الحافلة بالمتناقضات، من عالم اللغة تنبعث، لتحكي عن نفسها بعض التفاصيل من حياتها، فتظهر للوهلة الأولى شخصيّة واثقة من نفسها، مكتفية بذاتها، وثقتها هذه اكتسبتها مذ أقامت بمدينة عنّابة؛ تقول: « فقد استعدت خلال إقامتي بعنّابة ثقتي بنفسي وبقداتي كأنثى.»[30] تحاول جهدها العناية بمظهرها، حتّى تبدو أصغر سنّا ممّا هي عليه في الحقيقة؛ مما يكشف عن نوع من الفوبيا phobie تجاه مظاهر التّقدّم بالعمر، لذا تعمل على مداراة الأمر فعلا بالاستعانة بأدوات الزينة، وقولا من خلال عدم التصريح بعمرها؛ تقول: « بصراحة الحديث عن العمر يضجرني إلى حدٍّ لا يطاق، يشعرني بالملل والكآبة إلى درجة أصبح معها على أهبة الاستعداد لقتل أحدهم، لذلك كلما بطرق أحدهم باب هذا الموضوع أمامي تجدني أعطيه عمرا كيفما اتّفق، حتّى أسدّ فمه بقطعة حجر تقطع أنفاسه الكريهة. طبعا الأمر يتوقف على طبيعة السّائل وجنسه وسنّه، فأحيانا يكون العمر جاهزا ومحدّدا وأجيب

[28]- المرجع نفسه، ص 294.

[29]- ينظر: بول ريكور، الذات عينها كآخر، ص 250، 251 (في هامش الصفحة).

[30]- بومدين بلكبير، زنقة الطليان، ص 57.

بطيبة خاطر: في بداية الثلاثينات، وفي أحايين أخرى خبط عشواء: تارة في نهاية العشرينات، وطورا في منتصف الثلاثينات.»[31]

ثمّ إنّ إلحاحها في الاهتمام بمظهرها نابع من رغبتها في تحصيل اهتمام الآخرين بها بقصد أو بغير قصد، فلطالما كان هذا الأمر مصدر سعادة بالنسبة لها؛ تقول:« لمّا وصلت إلى مقهى لوغلاسيي جلست إلى طاولة في ركنه الشمالي وما إن رآني النّادل حتّى انبسطت أسارير وجهه. كان عمّار يعاملني معاملة تفضيليّة على بقية رواد المقهى [...] وفي الحقيقة كان يروقني الأمر.»[32]

وقد تجلّت تلك الرّغبة في كسب اهتمام الأخرين قصدا فعليّا عبر محاولاتها لاستمالة الشّاب يعقوب؛ تقول:« كنت أخرج من النزل إلى محل صغير يبيع خبز الكسرة والمحاجب والحلويات التقليدية [...] حيث تقبع عمّتي صليحة [...] وعند غيابها يعوّضها ابنها يعقوب وهو شاب لطيف يمتلك كل المقومات التي تجعل منه رجلا كاملا، الأمر الذي دفعني للتردّد باستمرار على المحل لاقتناء الكسرة أو المحجوبة، لكن في حقيقة الأمر كنت أتحيّن فرصة أو مصادفة وجوده كي ألفت انتباهه إليّ علّني بذلك الحضور أحظى ببعض اهتمامه [...] لكنّ لا مبالاته أرهقتني.»[33] وجهودها المتواصلة في مثابرة وإصرار لتحظى بقلب جلال الجورناليست الذي يمثّل الرجل المثالي بالنسبة لها. والّذي تقول عنه:« شخصيته تأسر كل من يعرفه أو يدنو منه، على الرغم من المسحة السّاخرة حول شفتيه.»[34]

فما بين الرغبة والرهبة، الطموح والخيبة تتأرجح الذات ما بين إقبال/ إدبار، إقدام/ إحجام، ارتقاء/ انهيار تقول:« وككل مرّة كنت أخرج من محلّه بطعم الخيبة. كان ينتابني شعور ممتزج بالمرارة والمذلّة لا يمكن وصف فداحة أثره على معنوياتي ومع كل ذلك كنت أحاول أن أبقى واقفة ومستمرة كي لا أنهزم ولا استسلم أمام خيبات الحياة المتكرّرة.»[35] إنّه دثار القوّة إذ يستر حالة الضعف الكامنة فيها.

---

[31]- بومدين بلكبير، زنقة الطليان ، ص 57.

[32]- الرواية ، ص 15.

[33]- الرواية، ص 12.

[34]- الرواية، ص 31.

[35]- بومدين بلكبير، زنقة الطليان ، ص 12.

لكن في مقابل هذه الذّات المقبلة على الحياة رغم إدبارها وخيباتها وقسوتها المرّة، الواقفة رغم الانكسارات، المستمرّة وغم العثرات والهزائم المتلاحقة، تبين الذّات عن وجهها الآخر؛ المتخاذل، المهمل، المبعثر، الفوضويّ، وقد تجلّى ذلك على عدّة مستويات. فقد تميّزت الشخصيّة بالإهمال الشّديد فيما يتعلّق بمواعيد العمل، حتّى صار هذا الأمر- على ما تقول دلال- عادة متأصّلة فيها:« كان الالتحاق بالعمل في وقت متأخّر عادة متأصّلة فيّ، لم أقو على الفكاك منها. لا أرى إطلاقا أنّ التحاقي بالعمل عند السّابعة والنصف أو حتّى بعدها بساعة أو ساعتين أو أكثر قليلا أمر مستساغ وقابل للتحقيق لأنّني في تلك الأوقات بالذّات أكون أتقلّب في السّرير وأنا مغمضة العينين.»[36] ورغم محاولاتها تعويض هذا النقص باجتهادها ومثابرتها في العمل، وفي إرضاء رئيسها إلّا أنّ تفاقم هذا الوضع كان السّبب الرئيس وراء طردها من الوظيفة لاحقا.

ولم يكن هذا الإهمال متعلّقا بالمواعيد فحسب، بل إنّه كان يطال بعض تفاصيل حياتها اليوميّة أيضا؛ حيث اتّسمت الشخصيّة بنوع من الفوضى وعدم الترتيب، كشفت عنه طريقة وضعها لأغراضها في الشقة، تقول واصفة حالها فور استيقاظها من النّوم متأخرة كعادتها:« أقف مذعورة كالمخطوفة من السرير رامية الأغطية كيفما اتّفق. أمشي في الحجرة وأنا أتعثّر بجسدي المترنّح إلى أن أقف أمام باب خزانتي. أقلّب الملابس الموضوعة فوق بعضها من غير ترتيب وأنا أفتّش بينها عن الفستان المناسب الذي سأرتدي اليوم.»[37] لتكون الفوضى جزء من يوميات حياتها.

كما تجلّى هذا الإهمال أيضا في تقاعسها عن العناية بابنها، أيام كانت بمدينة "السوارخ"؛ بسبب عدم رغبتها في إنجاب الأطفال منذ الصّغر؛ تقول:« لمّا كنت في سنّ المراهقة كنت أعرف أنّني لن أنجب أطفالا .. يتوقّع المجتمع منك أن تصبحي أُمًّا، وإلّا فإنّك مريضة عقليّا. فبعد أن تزوّجت وأنجبت هناك من قال لي:«أنت لا تستحقين ولدك.» [...] في السنوات الأولى كنت أؤدّي دوري كاملا كأمّ، لكن مع مضيّ الوقت وبالذات عندما بدأت رعاية ابني تأخذ منّي وقتا أطول، تراجع دوري كأمّ، كنت أفعل كلّ شيءٍ لابني ولكنّني كنت تعيسة في داخلي طوال الوقت، كان من المستحيل مواصلة القيام

[36]- الرواية ، ص 21.

[37]- بومدين بلكبير، زنقة الطليان ، ص 82.

بالأمر.»[38] فعنايتها بابنها لم تكن سوى تمثيليّة تراعي المجتمع على حساب ذاتها، لهذا فإنّها لم تستعد هويّتها الحقيقّة إلّا عندما تخلّت عن هذا الدّور.

كما كشفت الشخصيّة عن نوع من العدائيّة والروح الانتقاميّة في التّعامل مع كل ما لا يروق لها، أو ما تراه يمثّل تهديدا بالنسبة لها، فكان أن تخلّصت من القطّ "مينوش"، الذي كانت تمقته بشدّة، وكان أن صارت تنتقم من زميلتها فلي العمل؛ لأنّها فضحت عمرها الحقيقيّ على مسمع من الجميع. تقول:« أصبحت أتفاداها وأتجنّب الحديث إليها والاقتراب منها حتّى وإن صادف وجمعنا مكان واحد. كما كنت أكيل لها التّهم واختلق حكايات وقصصاً عنها كي أشفي بعضا من غلّي تجاهها وما تسبّبت فيه من إساءة لي.» وكنتيجة حتميّة لهذا الوضع أضحت حياتها في العمل متوتّرة، فهي دائمة التّوجّس من زملائها، ترمقهم بعين الشكّ والرّيبة، وتتربّص بهم الدّوائر.

وفي حين كانت دلال تنتظر إقبال الحياة وإنصافها، وأن تعيش حلمها/ أملها الذي لم تتح لها الفرصة لتحقيقه قبلا، إذا بسيل من المشاكل والمآسي تنهال على رأسها، بدءً من توقيفها عن العمل إلى موت نجاة إلى اعتقال جلال ، هذا فضلا عن إلحاح رئيس البلدية في الترحيل القسريّ لساكنة "زنقة الطليان"، لتجد نفسها وحيدة في مهبّ هذه الريح العاتية التي اقتلعت كل ما كانت تعتقد أنه يحيط بها ويغمر حياتها.

كلّ هذه النّوائب، وقعت على نفسها كالصاعقة، وفاقمت في داخلها حالة من الخوف والهلع تجاه المنتظر المجهول، ورغبة عارمة للهروب من هذا الوضع بأي سبيل كان، تقول:« فمشاعر الخوف كانت سريعا ما تنتقل إليّ في صورة من نوبات الهلع مع كلّ ما أسمع من الجيران من يتحدّث على أنّ الرّحيل بات وشيكا فأصبحت أتخيّل الطّرد كأنّه كابوس يهاجم جسدي وينغرس كخنجر صدئ، قاتل داخل صدري. لذلك كان نومي متقطّعا ولم يكن من سبيل أمامي لأتغلّب على مشاعر الخوف أو على الأقل أحدّ من تأثيره، فكان النّوم لوقت طويل هو سبيلي."[39] لقد كان المهرب الوحيد المتاح أمامها في مواجهة كل تلك الحرائق من حولها.

لكأنّ الذات فقدت آخر أرض صلبة كانت تقف عليها، فباتت قاب قوسين أو أدنى من هوّة سحيقة لا قرار لها، ممّا عاظم في داخلها كرها للحياة، فأضحت كالميّتة فيها، تقول:« أنا ميتة على قيد الحياة، لم أعد أحبّ الحياة. أنظر بوجه فارغ إلى السّماء

---

[38]- الرواية ، ص93، 95.

[39]- بومدين بلكبير، زنقة الطليان، ص 115.

وإلى الشّمس، وأنا أقلّ انتباها إلى كلّ ما يترامى أمام ناظري.»[40] إنّه انسلاخ كبير للذّات عن الحياة، بعد تعلّق شديد بها.

لكن كيف حدث وانهارت دلال بمثل هذه الطريقة؟ وهل كانت حقيقة شخصيّة قويّة كما دلّت عليه ذاتها عيانا؟

3.6. 2 - الذّاكرة المستعادة، جرح في عمق الذّات:

إنّ ارتباط الهويّة بالزّمن يستدعي وجود تحوّلات وتغيّرات على مستوى الهويّة، كما يستدعي أيضا بالموازاة مع ذلك تراكم الخبرات والتجارب التي يحتفظ بجانب مهم منها في الذّاكرة. وإذ تحاول الذّات أن تعبّر وتنقل هذه التغيرات والتجارب عبر لغة السّرد، فهي بحاجة إلى العودة إلى الذاكرة لتحقيق ذلك التّواصل بين الماضي والحاضر فـ« الهوية السرديّة هذه تضع تجربة الزمان المعيش وحبكة هذا الزّمان في علاقة مباشرة في حين أنّها في الواقع تمرّ عبر الذّاكرة، كي أستطيع أن أسرد حياتي أو حتّى أسرد أيّ رواية لا بد أن ألجأ إلى ذاكرتي، غير أنّ الذاكرة لا تستطيع أن تستوعب كلّ تجربتي لذا فإنّ سردي يمرّ كذلك عبر النسيان.»[41] فتجربة سرد أحداث الماضي تتراوح بين الحضور والغياب، في سجال يؤثّث لغة الحكي بالتفاصيل والذكريات التي تستوعبها الذّاكرة. و« بهذا المعنى علينا التمييز داخل اللّغة بين الّذاكرة كاستهداف وبين الذّكرى كشيء مستهدف [...] سمة أولى تسم نظام الذّكرى: التعدّدية والدّرجات المتنوّعة في التّمييز بين الذّكريات، إنّ الذّاكرة هي بصيغة المفرد كمقدرة وتحقيق وتنفيذ، أمّا الذّكريات فهي بصيغة الجمع: إنّنا نملك ذكريات [...] غير أنّ السمة الأهمّ هي التالية: إنّها تتعلّق بالامتياز المعطى عفويّا للأحداث من بين كلّ الأشياء التي نتذكّرها»[42] فالأحداث تمثّل المعطى الأكثر ثباتا ضمن مخزون الذكريات من عناصر الوجود الأخرى التي يطال أغلَبَها النسيانُ.

وبالعودة إلى مسرود دلال سعيدي، تحاول تجربة القراءة هذه اختراق مقول الذّاكرة المشبعة حدّ التخمة بكمّ من الذكريات التي ناءت بحملها الذّات، وأرهقت كاهلها بوقع تأثيرها حتّى صارت ترجو الخلاص من دون جدوى. تقول:« الذّاكرة شيء مرهق، يظلّ ملتصقا بنا، يتبعنا في أيّ مكان نذهب إليه، لا نتيجة ترتجى من الهرب، يلعب معنا لعبة الكرّ والفرّ داخل أذهاننا، لغاية أن يستنزفنا بشكل كامل. لا شيء يدّعي الانتصار على

[40]- الرواية، ص 118.

[41]- بول ريكور، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ص 14.

[42]- المرجع نفسه ، ص 57.

الذّاكرة. قد يكون هناك ما يسمّى بقلب الصّفحة، لكن لا يوجد مطلقا شيء يدعى تمزيق الصفحة». إنّها سطوة الذّاكرة حينما ترهق الذّات بمحمولاتها.

وفي معرض هويّة تصارع الماضي فيها ، يتبدى فعل التذكر والاستذكار وينتشر في أغلب صفحات الرواية معلنا عن جدليّة زمنيّة في نطاق المتن السرديّ، هذا الفعل الذي تحتكم إليه الذّات كلما أرادت تقويض أفعالها بمبرّرات أوهامها، ويظهر حين تأوي إلى "مقهى لوغلاسيي"، حيث تُظهر كلّ شيء إلا حقيقتها ، وترتدي سرابيل تقيها صخب وعنفوان الشباب، الذين تقول فيهم:« تتعالى أصواتهم وضحكاتهم وصخبهم بين الحين والآخر إلى درجة أنّها تقطع خيط التفكير الّذي يطول بي وتشتّت رابط الصّور المتتابعة من ذاكرتي وسرعان ما أغرق مجدّدا في تخيّلاتي منشغلة تماما عن ضجيجهم وجلبتهم إلى أن يخرجوني مرّة أخرى من عالمي»[43] أي إنّ المحكي من السّرد يحوم حول ذكريات دلال التي تبني حاضرها المسرود من لحظات ذاكرتها.

فمن ركام الذكريات المُلقاة في بحر الماضي البعيد، والتي لا تلبث تطفو من جديد على سطح الحاضر المعيش خنجرا يدمي القلب والروح، تتجلّى دلال سعيدي بوجه غير وجهها، وذات غير ذاتها، فخلف تلك الذّات التي تجلوها مرآتُها قويّةً واثقةً مستقلّة حالمةً بغدٍ أفضل، تقبع ذات أخرى مطموسة تحت طبقات الذّاكرة تعيش تحت تصرّف زوجها، تصفها دلال قائلة:« أنا التي كنت له الزّوجة الخانعة، القانعة، الرّاضية، التّابعة، حتّى استحلت مع مضيّ الزّمن إلى قطّة وديعة، لم يرض بهذا الوضع إلى أن حوّلني إلى هيكل بلا روح، فاقد لأيّ مشاعر أو كرامة آدميّة.»[44] فغياهب الماضي تتكشّف عن ذات محطّمة منكسرة منقادة تحت سلطة غيرها.

إذن، هي ذاكرة ذات تنزف بؤسا وألما، ولكنّها أيضا تنزف خوفا وهلعا، تهرب من خبايا محجوبة في الماضي كانتصار مؤقت، وتستشعر رغبة الانتقام التي تحلّ عليها كلعنة منعكسة في طيف "رشيد العفريت" الذي يفتح جروحا لمّا تندمل، جروح لم تشفها الوصفات الفتاكة بالذاكرة، ولم يغيّبها الزمن ولو للحظة، ولم يطوها النسيان، إنّه جرح أحدثه الوحش؛ الذي تتذكّره بمرارة، تقول: «ذلك الوحش المسمى سي مهذب محمد

[43]- بومدين بلكبير، زنقة الطليان، ص 16

[44]- بومدين بلكبير، زنقة الطليان ، ص 81.

فوزي، الذي انتهك براءتي وأغرقني حتى الرأس في بالوعة العار الآسن.»[45] لتغوص في ظلمة قهر لا نهائيّ، شوّه معالم براءتها، وأفقدها الثّقة بنفسها وبالآخرين.

ورغم عدم وجود أيّ رابط تشابه أو تقارب بين الشخصين، إلّا أنّ جرحها النّازف فيها لا ينفكّ يستحضر صورة ذلك الوحش ليسقطها على شخص "رشيد العفريت"، تقول دلال متحدّثةً عن هذا الأخير:« دوما ما تتسبّب لي رؤيته على حين غفلة في استعادة ذكريات صادمة، فقد كان يبدو لي شبيها بذلك المراقب العام في المدرسة الإكماليّة والّذي ما زال جرح ما أقدم عليه غائرا إلى اليوم، على الرغم من انعدام أيّ رابط أو شبه بينهما، لحظتها تتسارع دقّات قلبي وأصاب بالرجفة والشعور باليأس، وتنمو داخلي رغبة عارمة في الاختباء أو الهرب أو ضربه حتى الموت.»[46] فتلك الآلام التي لم تشف من تأثيرها رغم مضيّ الزّمن، تصرّ على التّجلّي حاضرة بين ناظريها وإن بصورة وهيئة غير ما هي عليه في الأصل.

إنّه جرح عميق، غائر في الزمن ومتغلغل في مسام الذّات، ما يزال يتجلّى حاضرا بين يدي ذاكرتها كلّ ما عنّ له طارئ يستدعي مُثوله، وهو ما كان منها حينما رأت خبر وجود فتاة صغيرة مقتولة بعد ما تمّ اغتصابها؛ تقول:« حينما وقعت عيني على الجريدة عادت أمامي كلّ تلك الصّور، تراءت لي على شكل فلاشات متتالية. صوري لمّا حاولت أن أقاومه وصور كتم أنفاسي براحة يده البدينة وصوري وأنا مرعوبة.»"[47] إنّه وشم الجرح الحيّ فيها ينزف كلّما امتدّ إليه ما يلامسه.

هو جرح أضرمته الصّدمة، وألهبه الصّمت الذي أقصى ذاتها /أنوثتها، وهذا كله يدلّ على تصدّع الأنا وتكلّس الهوية في ذلك الماضي الدّفين، والّذي ينكشف بعضه مع "زبيدة الشّوافة" كأمينة ماكرة تقرأ خبايا الذوات وتفصّل لافتات صراعها الداخلي، وقد تركت على "دلال سعيدي" دهشة يظهر أثرها في قولها بعد لقائهما: « انصرفتُ وأنا مشتّتة من الدّاخل أعيد ترتيب أفكاري ببطء.. كيف لها أن تعلم بعضا من الماضي الخاصّ بي!؟ لقد أصابت الهدف ومسّت بكلامها شيئا ما بداخلي»[48] هو مكنون النفس الّذي يحمل بلية تسقط الأقنعة، فتنزلق بها أفعال الذّات نحو التّجلي والانكشاف. هي

---

[45]- الرواية ص 62

[46]- الرواية ، ص 14.

[47]- بومدين بلكبير، زنقة الطليان ، ص 62.

[48] - الرواية ، ص44

ذات تعترف بخبايا مطموسة وسيبدأ الحفر في فجواتها لقراءة ذاتها بذاتها كسمة للبدايات التي تشكّل الهوية .

هي هويّة كسرها "رشيد العفريت" إذْ تراءى لها في صورة الوحش/ المراقب العام في المدرسة، وصدمتها رؤية ابنها نزيم من جديد في مدينة عنّابة، لتحيي في ذاتها ذلك الماضي الذي أنهت حضوره في حياتها بمغادرتها مدينة "السوارخ"، لكنّها لم تقو على طيّ صفحته من ذاكرتها ولا تمزيقها، فطفقت تلاحقها أينما حلّت وارتحلت. لقد هزّتها رؤية ابنها وشوشت أفكارها، حتّى إنّها لم تعد تتذكّر إن كانت أمّا من قبل، تقول:« لم أعد أتذكّر إن كنت أمّا في مرحلة ما، هل فقدت عقلي؟ ولم أعد أتذكّر أيّ شيءٍ عن حياتي السّابقة أم أنّني لا أرغب في التّفكير بالأمر برمّته، لا أرغب بتاتا في تذكّر الماضي، نار مستعرة في داخلي، تلك الذكريات بمثابة موس يخترق لحمي ويصل إلى حدّ العظم»[49] لتغدو الذّات - والحال هذه- ورقة في مهبّ الريح، تتقاذفها المتغيّرات، يتخبّط داخلها صراع عنيف ما بين إلحاح الذّاكرة على الحضور والرّغبة العارمة للنسيان.

بتواطؤ مع الذاكرة ، يتنامى السّرد مفصحا عن ذات تحمل أوزار وجودها، تصادم مطبّات الحياة، وتقارع العزلة، وتسكن صمتها الذي تتبدى أماراته في كلّ آنٍ وحين. وداخل بنية سردية لشخصية استحالت مضطربة، يؤسس السارد /دلال سعيدي لمعنى "الهويّة المأزومة" التي تصارع صنوف معاناتها لإثبات وجودها وتناسي كيانها، في عالم التيهان في ذاكرة الماضي، فتتخدّر عوالمها في فراغ اللاشعور، بحثا عن مخرج آمن، عن بارقة أمل في مكان ما من الذات والوجود.

وبحثا عن الخلاص، عن تحرّر من وطأة العذاب المستعر داخلها، حاولت "دلال سعيدي" أن تتخذ مختلف الأسباب لبلوغ قصدها، فاستعانت بالهروب من مدينة "السوارخ" مهد الطفولة والأحزان؛ حفاظا على هويّتها من ألسنة من حولها، تقول:« فكنت أعامل كقاصرة واقعة تحت رحمتهم، أتعرّض للإهانة والتعنيف طوال الوقت ... فهم بذلك يجلدونني صباح مساء كما لو كنت دجّالة أو امرأة منبوذة بينهم، وإن استمرّيت بالعيش معهنّ فسيحرقنني وأنا حيّة أو سينتهي بي المطاف كجثّة هامدة لذلك قرّرت الرّحيل والمغادرة قبل فوات الأوان.»[50] فالهرب كان الوسيلة المثلى لإنقاذ الذّات من ذلك القالب النّمطي الذي كادت تزجّ فيه عنوة وإكراها، فقرّرت أن تلوذ بالفرار بجسدها

[49]- بومدين بلكبير، زنقة الطليان ، ص91.

[50]- الرواية ، ص 96.

وبذاكرتها من جحيم الماضي. لكن يبدو أنّه من الصّعب التخلّص من آثار هذا الماضي بسهولة؛ حيث تصرّ أرزاؤه على ملاحقتها أينما حطّ بها المقامُ. تقول:« وفي تلك الأثناء عادت بي ذاكرتي إلى تلك الأيّام التي لا أرغب في تذكّرها. لقد جئت إلى زنقة الطّليان لأهرب من ذلك الماضي، من أطيافه ومن أشباحه، وها هو كلّ ذلك الماضي يلحق بي إلى هنا!»[51] فيحاصرها بصوره من كلّ حدب وصوب.

ثمّ استعانت بروّاد الحضرة الصّوفيّة، كان القصد الأساس الوصول إلى قلب "جلال الجورناليست"، لكنّها ما لبثت تنخرط في ذلك الجوّ الذي يغشي روّاده بسحره الأخّاذ، لتكتشف لذّة منشية عبر حركات الرّقص الصّوفي. تقول:« وجدتني أرفع يدي للأعلى وأنحني وأتمايل بجسدي كتسخين أوّلي من أجل الدّخول تدريجيّا في تلبسات التهوال الصوفي [...] عندما تماديت في الحركات وبعد مضيّ بعض الوقت تدريجيّا لم أعد أشعر بتفاصيل الأجساد الملتوية والمتمايلة من حولي ولم أكن أعلم بأنّني سأدخل في حالة من اللاوعي، كنت بالفعل أشعر بأنّني أفرغ شحنة عظيمة من أثقال مترسّبة بداخلي، تراكمت عبر الزّمن، أحسست كأنّني أتطهّر وأشفى منها الواحدة تلو الأخرى رويدا رويدا [...] إنّها اللّحظة التي كنت أتحرّر فيها من العتمة والوحدة والكرب والخوف والفزع والغم. نور يغمر روحي إلى أن تعتريني قشعريرة لم أعهدها من قبل، لذّة وحلاوة امتلأ فيها قلبي بالسّكينة والسّلام والسّعادة الغامرة.»[52] لكنّ شعور الراحة هذا سرعان ما امّحى مفعوله مع الإفاقة من موجة الرّقص الغامرة، لتعود أدراجَها الذّاتُ إلى عالمها البائس وذكرياتها الخانقة.

وفي خضمّ معترك المآسي المتلاحقة الواحدة تلو الأخرى، لم يتبقّ أمام دلال من حلٍّ/ مَفرٍ إلّا إلقاء عباءة العقل جانبا بكلّ أثقال حمولته، لتلج عالم الجنون بديلاً، علّها تبلغ السّلام والسّعادة التي لطالما كانت غاية بحثها في الحياة تقول في وصف حالها وهي تواجه تهديد التّرحيل من "زنقة الطّليان" عيانا:« نزلت درجات السّلم على وقع الصّدمة المفاجئة، رغبت في الصّراخ وأنا على أهبة الخروج إلى الشّارع، كانت حركاتي وكلّ نظراتي وملامحي بطبع المرارة، كأنّني أحدّق في الفراغ. الأمر أشبه بزلزال عنيف هزّ كياني كلّه. كنت صامتة ومستسلمة ومذعنة وساكنة، لم أتمكّن من قول أيّ شيء كأنّني بكماء، عدا

[51]- بومدين بالكبير، زنقة الطليان ، ص79، 80.

[52]- الرواية ، ص76، 77.

أنّني كنت غاضبة جدّا ومرتبكة وضائعة كأنّني أصبت بالجنون»[53] هو تحوّل رهيب ذلك الذي فجّر كلّ مكنون الذّات ليرمي بها بعيدا عنها، فقتل ذات العقل فيها ودفنها بكلّ ما لها وما عليها رفقة من ذهبوا من غير عودة، وبعث فيها إنسانا آخر غير الذي كان وغير الذي أرادت هي أن يكون.

ويبقى سؤال المصير يقارع كل معترك حياتي، فيكسر كل صمت غارق في مجرى الذّاكرة أو منغمس في معبد النسيان، مبثوث في شقوق المتن السردي، والذي تناوله هذا البحث بالقراءة. فعبر المحطّة النظرية التي تناولت الهوية في مستواها المفهومي عبر مساراتها التطورية نضخت الرواية بواقع متشابك ونسجت باللّغة أحداثا تنامت ثم انصهرت في بوتقة كيانها، لتقرّ بأنّها مفهوم متفلّت ترتسم معالمه وتتجاوز حدود التجلّي الظاهري لتبلغ الجوهر بالقراءات المتعددة حسب التوجّهات المختلفة .

وعلى مستوى الممارسة القرائية، توقف البحث على مفهوم الهوية السردية وما يوازيها من مفاهيم، كالهويّة الشّخصية والعينية حسب المقترح الريكوري، لتتعدى الى تبيان علاقة الذات بالذاكرة، وليرسو – البحث- في جانبه التطبيقي على قراءة أوليّة للعنوان باعتباره عتبة نصية يتم عبرها الولوج الى المتن السردي.

ولما حلّت الكلمات على لسان السّرد نطقت "دلال سعيدي"، مقتنصة ذاتها من ذاكرتها، لتضخّ هوية تتردى بين أسرار مطمورة في مسلك مشوّه لا يحتويه أي نظام، يرشّ فوائح ماضيها العالقة في عوالم نفس/ذات مقصيّة من ألبوم الحياة، منخرطة في همومها، محاولة أن تلوذ بكينونة ترمّم علّة وجودها، التي تعيشها في عزلة خلاّقة مع صخب الحياة، لتستمر في رحلة البحث عن الذّات عبر قراءة ديوان الأسرار والذكريات، لتصوّغ لنفسها ممكنات الحياة عبر اللاعقل/الجنون حيث لا وجود للتّذكر ولا مجال للنسيان. إنّها مفارقة الوعي باللّاحياة .

7- خاتمة:

جسّدت "زنقة الطليان" تيه الذّوات وتمرّد أفعالها في الواقع السّردي، وقد لازمت علاقات التوتّر كل حدث كأصل كامن داخل أيّ مجتمع، ووجدت امتدادها عبر حضور الذّاكرة في كل تجربة إنسانية، ليتشكّل بها التّصور السّرديّ للهويّة الذّاتية، التي تعلن زوالها وتمثّل اختتامها باقتدار موؤود في تجاربها، وتربأ بذاتها في عوالم الإنسان مقحمة مآلاتها المعلّقة في فراغ كينونتها، والتي تعاني ارتحالا عبثيا بين الأزمنة ، فاضحة تيهان

[53]- بومدين بالكبير، زنقة الطليان، ص 128.

الإنسان وسقوطه من غربال قناعاته المتشظّية، ويلعق آثار مصيره المحتوم العالقة بكبريائه المخدوش على ملامحه الرّوتينيّة والمتفلّتة من حطام الذّات.

إنها "زنقة الطليان" التي حاول بها الكاتب تحويّل صورة مكان إلى صيرورة إنسان تمرّد على وضعه الاجتماعي، الذي جرّده من الحياة بسبب الرضوخ والسكوت ومحاولة النسيان، إنّها قصّة المسكوت عنه في المجتمع. إنّه الشقاء اللّامحدود الذي قد يعيشه أيّ إنسان، إنّه اغتراب الذّات عن ذاتها.

"زنقة الطليان" هذا الحيّ الذي يكابد صراعا بين هويّته التراثيّة وهويّة مستعارة تروم طمس معالم المدينة القديمة لصالح نسخة مشوّهة لا تشبهها في شيء، وبين ما هو كائن وما يراد له أن يكون تفقد المدينة معناها؛ تغدو جدرانها صامتة وشوارعها هادئة وأزقّتها موات لا حياة فيها، لتكتشف فجأة، في خضم جائحة الوباء وعبث الإنسان، أن لا حياة لها دون أهلها وإن ضنّوا عليها، فهي منهم بقدر ما هم منها، هي تؤويهم وتجمعهم وهم يغمرونها حياة بكلّ تناقضاتها، لتكون "زنقة الطليان" زنقة الإنسان بكلّ ما لهذه الكلمة من معنى ووقع.

دلال سعيدي هي الإنسان المُقنّع، الطفولة المغتصبة، القاصر المتزوجة، الأم الفاشلة، الزوجة الهاربة من سوء مصيرها، العاملة المستغلّة، الإنسانة الضّائعة، إنّها الحضور الطّاغي لاستبداد كل مسؤول، إنّها انعكاس الماضي بعين الخيال المتحرّك في فضاء الحاضر، إنها الكراهية الصّمّاء في عزلة جوفاء، إنّها اختمار الذّاكرة التي تتشدّق بالكلام وتعزف ألحان سخط الحياة فتطرب كل سامع لينفر من أقداره، إنها مغناطيس الظروف التي ينجذب إليها كل سالب عبر خيال السرد، إنها رمز الحدث وشفرته.

منشورات

مخبر الخطاب الحجاجي

أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر

جامعة ابن خلدون تيارت - الجزائر

2022